

شرح كلمة التوحيد
[لا إله إلا الله محمد رسول الله]

أملاه خادم العلم وأهله العبد الفقير إلى ربه:

أحمد بن الحافظ الشنقيطي

عامله الله ووالديه ومشايخه بعفوه ولطفه وستره الجميل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الشق الأول: شهادة أن لا إله إلا الله

اعلم رحمك الله أن أول ما يجب على كل مسلم ومسلمة هو العلم بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [سورة محمد: ١٩]، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له عندما أرسله إلى اليمن: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله...»^(١).

ومعنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله.

وللشهادة ركنان، هما:

١. النفي وهو الطرد والإبعاد والإزالة: (لا إله) نافياً جميع ما يُعبد من دون الله.
 ٢. الإثبات وهو الإقرار والمداومة والإبقاء: (إلا الله) مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له.
- ولا يتم ذلك إلا بنفي أربعة أمور، وإثبات أربعة أمور، كما ذكر العلماء رضي الله عنهم^(٢).

تنفي أربعة أمور:	وتثبت أربعة أمور:
— الأرباب.	— الإخلاص في النية والقصد.
— الأنداد.	— التعظيم لله رب العالمين.
— الآلهة.	— المحبة لله ﷻ .
— الطواغيت.	— الخوف والرجاء.

(١) متفق عليه.

(٢) انظر: الدرر السننية (٢/١٢٢).

المنفيات الأربع

❖ أولاً: الأرباب:

والمراد بالأرباب: كل من أفتاك بمخالفة الحق وأطعته مصداقاً لذلك، والدليل قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوبة: ٣١]، قال عدي بن حاتم رضي الله عنه لرسول الله ﷺ عندما سمع هذه الآية: «إنا لسنا نعبدُهم، فقال ﷺ: أليسَ يحرمونَ ما أحلَّ الله فتحرمونه، ويحلُّونَ ما حرمَ الله فتحلُّونه، قال: قلتُ: بلى، قال: فتلك عبادتُهم»^(١).

❖ ثانياً: الأنداد:

والمراد بالأنداد: كل ما جذبك عن دين الإسلام من مال أو أهل أو مسكن أو عشيرة، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥]، وقوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لِنِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ١٧ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٩٧-٩٨].

وصور الأنداد كثيرة، وأشهرها عشرة، ثمانية منها جمعت في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ٢٤]، والتاسعة: الهوى، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [سورة الفرقان: ٤٣]، والعاشر: الغلو في الأسباب والتعلق بها من دون الله، قال النبي ﷺ: «من تعلَّق شيئاً وُكِّلَ إليه»^(٢)، وقد أجمع علماء الإسلام قاطبةً أن الأخذ بالأسباب واجب، وتركها سوء أدب مع الله، والاعتماد عليها من دون الله شرك.

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٧٢)، وصححه الألباني.

ضوابط أن لا تكون هذه العشر أنداداً:

١. أن لا يحبهم كمحبته لله أو أكثر: قال تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُجِبُونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥].
٢. أن لا يقدم أمرهم على أمر الله: عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(١).
٣. أن لا يطيعهم في سخط الله. عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَرْضَى اللَّهَ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ النَّاسَ، وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ»^(٢).

❖ ثالثاً: الآلهة:

والمراد بالآلهة: كل ما قصدته بقلبك في جلب نفع أو دفع ضرر مما لا يقدر عليه إلا الله فقد اتخذته إلهاً، والدليل قوله تعالى: ﴿قَتَلَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾^(٣) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١١٦-١١٧]، وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء؛ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»^(٤).

وصور الآلهة كثيرة، من أشهرها: التعلق بالأطباء، والرقاة، والأدوية، والاعتقاد بأن الشفاء من عندهم، والتعلق بالوظائف، والتجارات، والاعتقاد أن الرزق يأتي منها من دون الله.

(١) أخرجه البغوي في شرح السنة (٢٤٥٥)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤١٤)، وابن حبان (٢٧٧)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش»^(١).

❖ رابعا: الطَّوَاعِيتُ:

والمراد بالطَّوَاعِيتُ: كل ما عُبِدَ من دون الله وهو راضٍ، أو ترشح للعبادة^(٢). والدليل قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦].

وصور الطَّوَاعِيتُ كثيرة، ورؤوسهم خمسة:

١. إبليس - لعنه الله -.
٢. ومن عُبِدَ من دون الله وهو راضٍ.
٣. ومن دعا النَّاسَ لعبادة نفسه.
٤. ومن ادَّعى شيئاً من علم الغيب.
٥. ومن حكم بغير ما أنزل الله.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٧).

(٢) الدرر السنية (١٢٣/٢).

المثبتات الأربع

❖ أولاً: الإخلاص في النية والقصد:

والمراد بالإخلاص في النية والقصد: كونك ما تقصد إلا الله.

ونحن مطالبون بأمرين اثنين في الإخلاص:

١. توجه الباطن إلى الله بالنيات الخالصة.

٢. التوجه إلى الله بالأفعال، كالركوع، والسجود، قال تعالى: ﴿فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوا ۝٢٦﴾

[سورة النجم: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمُورًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [سورة البينة: ٥].

❖ ثانياً: التعظيم لله رب العالمين:

وشرك التعظيم قليل من يتنبه له، قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [سورة

الواقعة: ٧٤]، أي: أنك لا تعظم إلا الله وحده لا شريك له، والتعظيم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١. تعظيم باللسان: وصوره كثيرة كالمدح والثناء، والاطراء، فهذا لا يجوز إلا لله، والمسلم

إذا أحسن؛ تقول له: أحسنت، وإذا فعل شيء طيباً تقول له: جزاك الله خيراً، وأحسنت،

ولكن لا تكثر المدح والثناء إلا لله وحده لا شريك له.

٢. تعظيم بالجوارح: كالركوع والسجود، وهذا لا يجوز إلا لله وحده لا شريك له.

٣. تعظيم بالقلب: كأن تعتقد أن أصحاب القبور والمشايخ ينفعون أو يضرّون فتعظمهم،

كالذي يمر من عند قبر أو ضريح؛ ويأتي في قلبه الخوف من صاحب القبر، يظن أن

صاحب القبر ينفعه أو يضره، وهذا النوع من أنواع شرك التعظيم.

❖ المحبة لله ﷻ:

والمراد بالمحبة: تشيع القلب بالمحبوب وانجذابه إليه بالكلية، أي أن القلب يكون متشبعاً بمحبة الله وحده لا شريك له، والانجذاب إلى الله ﷻ، فأنت لا تحب إلا الله وحده لا شريك له، أو تحب في الله والله، قال ﷺ «وَأَنْ يَحِبَّ الْمَرْءُ لَا يَحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ»^(١)، وأن تعامل الشخص محبة لله، فهذا أيضاً من إثبات كلمة التوحيد.

❖ الخوف والرجاء:

والمراد بالخوف: كونك ما تخاف إلا الله، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٥].

وأما الرجاء: كونك ما ترجو إلا الله، والرجاء هو الطمع فيما عند الله ﷻ مع حسن الظن، والفرق ما بين الرجاء والتمني: أن الرجاء مقرون بالعمل، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف: ١١٠]، والتمني مقرون بالكسل، والأمل، والتسويق.

شروط لا إله إلا الله

ثم اعلم رحمك الله أن لكلمة التوحيد شروطاً سبعة:

١. العلم.
٢. اليقين.
٣. الإخلاص.
٤. الصدق.
٥. المحبة.
٦. القبول.
٧. الانقياد.

(١) متفق عليه.

العلم: والدليل قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة محمد: ١٩]، وقوله سبحانه: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٨٦]، وقال ﷺ: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة»^(١).

اليقين: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة المجرات: ١٥]، وقال ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقي الله بهما عبدٌ غير شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة»^(٢).

الإخلاص: قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [سورة الزمر: ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [سورة البينة: ٥]، وقال ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً مخلصاً من قلبه»^(٣).

الصدق: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [سورة الزمر: ٣٣]، وقال ﷺ: «من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله صادقاً من قلبه؛ دخل الجنة»^(٤).

المحبة: قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥]، وقال ﷺ: «ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه ممَّا سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار»^(٥).

(١) أخرجه مسلم (٢٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (٩٩).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٩/٥)، ح (٢٢٠٥٦) تعليق الأرئوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٥) متفق عليه.

القبول: قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة الصافات: ٣٥].

الانقياد: قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [سورة الزمر: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [سورة لقمان: ٢٢].

- والمراد بالعلم: العلم بالنفي والإثبات.
- والمراد باليقين: اليقين على النفي والإثبات.
- والمراد بالإخلاص: الإخلاص في النفي والإثبات.
- والمراد بالصدق: الصدق في النفي والإثبات.
- والمراد بالمحبة: محبة النفي والإثبات.
- والمراد بالقبول: قبول النفي والإثبات.
- والمراد بالانقياد: الانقياد للنفي والإثبات.

مراتب لا إله إلا الله

اعلم رحمك الله أن لكلمة التوحيد أربع مراتب ذكرها ابن القيم رحمه الله:

١. المرتبة الأولى: علم، ومعرفة، واعتقاد لصحة المشهود به وثبوته.
٢. المرتبة الثانية: تكلمه بذلك ونطقه به وإن لم يعلم به غيره، بل يتكلم به مع نفسه، ويذكرها، وينطق بها أو يكتبها.
٣. المرتبة الثالثة: أن يعلم غيره بما شهد به، ويخبره به ويبينه له.
٤. المرتبة الرابعة: أن يلزمه بمضمونها ويأمره به، فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط.

وتضمنت هذه المراتب الأربعة:

- علم الله سبحانه بذلك.
- وتكلّمه به.
- وإعلامه وإخباره لخلقه به.
- وأمرهم وإلزامهم به^(١).

أحوال شهادة أن لا إله إلاّ الله في القلوب

اعلم رحمك الله أن لشهادة أن لا إله إلاّ الله أحوال في قلوب النّاس، قال ابن القيم رحمه الله: «فإن من الناس من تكون شهادته ميتة، ومنهم من تكون نائمة، إذا نُبّهت انتبهت، ومنهم من تكون مضطّجعة، ومنهم من تكون إلى القيام أقرب، وهي في القلب بمنزلة الرّوح في البدن: فروح ميتة، وروح مريضة إلى الموت أقرب، وروح إلى الحياة أقرب، وروح صحيحة قائمة بمصالح البدن»^(٢).

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٣/٤٥١).

(٢) الداء والدواء، لابن القيم (٤٥٩).

الشق الثاني: شهادة أن محمدًا رسول الله

اعلم أرشدك الله لطاعته أن شهادة أن محمدًا رسول الله لها معنى ومدلول.

فمعنى قولك أشهد أن محمدًا رسول الله: أي لا متبوع بحق إلا رسول الله ﷺ.

أي أنني: أعترف وأقر بقلبي، وأنطق بلساني أن أحق الناس بالإتباع هو رسول الله ﷺ فقد أرسله الله للعالمين بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، ولم يترك خيرًا إلا دل الأمة عليه، ولا شرًا إلا حذرهما منه. ولا يكفي هذا إلا بالإتيان بالأركان والشروط فهي المدلول.

أركان شهادة أن محمدًا رسول الله: قال الشيخ العلامة صالح الفوزان - حفظه الله - : «لها ركنان، هما قولنا: ١/ عبده ٢/ ورسوله، وهما ينفيان الإفراط والتفريط في حقه ﷺ، فهو عبده ورسوله، وهو أكمل الخلق في هاتين الصفتين الشريفتين، ومعنى العبد هنا: المملوك العابد، أي: أنه بشرٌ مخلوقٌ ممّا خُلق منه البشر، يجري عليه ما يجري عليهم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [سورة الكهف: ١١٠]، وقد وفي ﷺ العبوديّة حقّها، ومدحه الله بذلك، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [سورة الزمر: ٣٦]، وقال أيضًا: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [سورة الإسراء: ١]، ومعنى الرسول: المبعوث إلى الناس كافة بالدعوة إلى الله بشيرًا ونذيرًا»^(١).

(١) عقيدة التوحيد (٤١).

شروط شهادة أن محمداً رسول الله

وشروط شهادة أن محمداً رسول الله خمسة:

١. طاعته فيما أمر.
٢. تصديقه في ما أخبر.
٣. اجتناب ما نهى عنه وزجر.
٤. أن لا يعبد الله إلا بما شرع.
٥. وجوب محبته أكثر من النفس والمال والأهل.

طاعته فيما أمر: والدليل قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا﴾ [سورة النساء: ٨٠].

تصديقه فيما أخبر: والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم: ٣-٤].

اجتناب ما نهى عنه وزجر: والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الحشر: ٧].

أن لا يعبد الله إلا بما شرع: والدليل ما جاء في الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ -وفي رواية مسلم: ما ليس منه- فَهُوَ رَدٌّ»^(١).

وجوب محبته أكثر من النفس والمال والأهل: والدليل ما جاء عن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨).

أَكُونُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الْآنَ يَا عُمَرُ^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «محبة الله، بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان، وأكبر أصوله، وأجل قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين»^(٢). وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ٢٤]، قال القرطبي رحمه الله: «في الآية دليل على وجوب حب الله ورسوله، ولا خلاف في ذلك بين الأمة، وأن ذلك مقدّم على كل محبوب»^(٣).

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٦٦٣٢).

(٢) التحفة العراقية (٥٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩٥/٨).

(٤) متفق عليه.

الأطوار التي تمر بها شهادة التوحيد

اعلم رحمك الله أنه لابد لشهادة «أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله» أن تمر بأربعة أطوار:

١. التوحيد: وهو الإقرار.
 ٢. التجريد: وهو الإخلاص.
 ٣. التفريد: وهو الانقطاع إليه سبحانه بالكلية، قال تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة الذاريات: ٥٠].
 ٤. التحقيق: وهو الوصول إلى ذروة التوحيد وأعلاه.
- وهذه الأربع هي التي تدور عليها جميع مقامات العبودية ومنازل السير إلى الله ﷻ، قد أشار إليها ابن القيم رحمه الله في آخر كتابه النفيس «مدارج السالكين».

أقسام التوحيد

اعلم رحمك الله أن أقسام التوحيد ثلاثة:

١. توحيد الربوبية.
٢. توحيد الألوهية.
٣. توحيد الأسماء والصفات.

توحيد الربوبية: هو الذي أقرّ به كفّار قريش في زمن النبي ﷺ ولم يدخلهم ذلك في الإسلام، وقاتلهم رسول الله ﷺ، واستحل دمائهم، وأموالهم، وهو توحيد بفعله ﷺ، والدليل: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس: ٣١].

توحيد الألوهية: هو الذي وقع فيه النزاع من قديم الدهر وحديثه، وهو: **توحيد الله بأفعال العباد**، كالدعاء، والخوف، والرجاء، والرغبة، والرغبة، والخشوع، والخشية، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر وغير ذلك من أنواع العبادات التي أمر الله بها، والدليل: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن: ١٨]. وأصل العبادة هو تجريد التوحيد لله، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ.

توحيد الأسماء والصفات: هو إفراد الله ﷻ بما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات المثلى، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠].

والدليل على أقسام التوحيد الثلاثة:

- قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [سورة مريم: ٦٥] **توحيد الربوبية.**
- قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [سورة مريم: ٦٥] **توحيد الألوهية.**
- قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [سورة مريم: ٦٥] **توحيد الأسماء والصفات.**

أقسام الشرك

ثم اعلم رحمك الله أن ضد التوحيد: الشرك، وهو ثلاثة أقسام:

١. الشرك الأكبر.

٢. الشرك الأصغر.

٣. الشرك الخفي.

الشرك الأكبر: هو صرف العبادة كلياً لغير الله، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ٤٨].

الشرك الأصغر: وهو كل معصية سميت شركاً ولم تصل إلى حد الشرك الأكبر، والدليل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف: ١١٠].

الشرك الخفي: وهو نوعان - كما ذكر سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله ^(١) -:

١. نوع أصغر: وهو الرياء فإن محلّه القلوب، ويسمى شركاً خفياً ويسمى شركاً أصغراً، والدليل: قوله ﷺ: «يا أبا بكر، للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، والذي نفسي بيده للشرك أخفى من دبيب النمل، ألا أدلك على شيء إذا فعلته ذهب عنك قليله وكثيره؟ قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم» ^(٢).

٢. شرك النفاق - والعياذ بالله -: الذي يقوم بالقلوب، فيكون أهله مخفون كفرهم وضلالهم، ويكذبون الله ورسوله، ويعتقدون بطلان ما جاء به الرسول ﷺ، فهذا نفاق أكبر، وشرك خفي أكبر، وردة عن الإسلام - نعوذ بالله -، وهو رياء المنافقين وكفرهم، لأنهم في الظاهر مع المسلمين، وفي الباطن مع الكفار بعقائدهم الخبيثة وتكذيبهم لله ورسوله، كما قال

(١) فتاوى الجامع الكبير.

(٢) صحيح الأدب المفرد (٥٥١).

الله تعالى في حقهم: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٠].

أنواع الشرك

اعلم رحمك الله أن للشرك أربعة أنواع ذكرها العلماء:

١. شرك الدعاء: والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٦٥].
٢. شرك المحبة: والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوَى الْعَذَابُ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥].
٣. شرك الطاعة: والدليل قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُهُ لَا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوبة: ٣١].
٤. شرك النية: والدليل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة هود: ١٥-١٦].

مراتب الدين وأركانه

اعلم رحمك الله أن للدين ثلاثة مراتب:

١. الإسلام.

٢. الإيمان.

٣. الإحسان.

وكل مرتبة لها أركان.

فالإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله. وأركانه خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً. والدليل على ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بُني الإسلام على خمس: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ»^(١).

والإيمان: وهو قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان. وأركانه ستة: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره. والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة القمر: ٤٩].

الإحسان: ركن واحد؛ أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [سورة النحل: ١٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٥].

(١) متفق عليه.

والحديث الذي يجمع هذه المراتب حديث جبريل المشهور: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا، قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»^(١).

والله أعلم.

ترجمہ

فهرس الموضوعات

٢	الشق الأول: شهادة أن لا إله إلا الله
٣	المنفيات الأربع
٦	المثبتات الأربع
٨	شروط لا إله إلا الله
١٠	مراتب لا إله إلا الله
١١	أحوال شهادة لا إله إلا الله في القلوب
١٢	الشق الثاني: شهادة أن محمدا رسول الله
١٣	شروط شهادة أن محمدا رسول الله
١٥	الأطوار التي تمر بها شهادة التوحيد
١٦	أقسام التوحيد
١٧	أقسام الشرك
١٨	أنواع الشرك
١٩	مراتب الدين وأركانه
٢٠	فهرس الموضوعات